♦ هل **الله** موجود؟ ♦

نعم... لأنه كيف يمكننا أن نعطي تفسيرا غير ذلك...

العقل والضمير

تأليف: هيقو مقورد

العقل

لقد لوحظ أن القمر المتحرك يشهد بوجود خالق قادر على تحريك الأشياء، وان الاشياء الحية تشهد بوجود خالق حي. وهذا مستوى آخر للحقيقة – أسمى من المادة، وأسمى من الحركة وأسمى من الحياة – هو العقل. لا يمكننا أن نسمي التفكير صحيحا ان كان ذلك يوكل الخالق القدير عن منح الذكاء أن يكون هو نفسه ليس ذكيا.

ان مستوى العقل البشري أسمى من الحياة الحياة كالحياة بالنسبة للمادة. ان العقل البشري مدهش، ذات مقدرة غير معروفة. كتب أحد الباحثين الروس، وهو إيفان يفريموف:

> الأكتشاف الأخير في علم الأنسان وعلم النفس والمنطق والفزيولوجي تبين أن طاقة العقل البشري هي بالواقع عظيمة جدا. وحالما أعطانا العلماء الحديثون بعض الأفكار عن تركيب وعمل العقل البشري لقد صدمنا بالطاقة الكامنة للعقل الكبيرة. يستعمل الإنسان في الظروف العادية في العمل والحياة القليل فقط من تفكيره ومقدرته. لو استطعنا الضغوط على عقولنا ليعمل بنصف طاقته فقط، يمكننا أن نتعلم وبدون أي صعوبة ٤٠ لغة، وأن نحفظ الموسوعة العلمية بالكامل من الغلاف إلى الغلاف وأن نكمل البرامج الدراسية المطلوبة للعديد من الكليات.

العقل البشري هو «كمبيوتر» طبيعي له ما يقارب أربع عشرة بليون وحدة للأتصالات والغريب، انه الكمبيوتر الوحيد الذي يعتبر من قبل الخبراء قد توصل بسلسلة من الحوادث في العمليات الطبيعة. كتب الفيلسوف والرياضي الفرنسي بليز باسكالما يلي: «الإنسان ليس سوى قصبة، أضعف شيء في الطبيعة؛ ولكنه قصبة مفكرة... مع أن الكون يجب أن يقتله، يبقى الإنسان أنبل من ما يقتله، لأنه يعرف أن مات. وفائدة ذلك أن الكون تغلب عليه، ولكن الكون لا يعرف شيء عنه. لهذا كل الكرامة توجد في الأفكار.»

كفاءة العقل البشري حولت شارلس دارون ليكون مؤمناً بالله. كتب دارون أن العقل البشري له «قابلية رائعة للرجوع إلى الماضي وللتطلع إلى المستقبل» وأجبره على فرض «السبب الأول لديه عقل ذكي بدرجة مشابه للإنسان.» وأضاف، «أستحق أن أدعى موحد.» على أي حال عندما أخذ في أعتباره عقل الإنسان قد تطور «من عقل واطئ بدرجة عقل أوطأ الحيوانات،» ثم بدأ بالشك «بالأستنتاج الكبير» الذي يقود إلى الثقة بالإنسان. لذا رفض دارون قبول ما يقوله عقله وذلك لأنه لم يعتبر عقله قادر أن يقول ذلك.

ماهي مكونات الدماغ؟ الذكاء البشري، زعم أحد العلماء أن عقل الإنسان نما من «جزيئات أساسية» (هل يعطي هذا أنطباع عن الأصل) مع وجود «ميزات عقلية» «بنوعية بسيطة وكثافة قليلة». مثل هذه الظاهرة يجب أن تحزر، قال دارون أيضا «فشلت في فهم كيف يمكن للأحاسيس أن تنمو في أي نظام مادي.» فرضية «متعلم» هي أن أحساس الإنسان «هي صافي مخلفات المواد الأولية المنحدرة من قبل التاريخ. مثل هذا الكلام يترك أنطباعا كبيرا ولكنه يترك العقل المتسائل بدون جواب».

العقلية المستفسرة لها أجوبة جزئية في كلمات رينية دسكارت (١٥٩٦-١٦٥٠): «مهما يكون اي النهاية السبب المحدد لوجودي، يجب أن يسمح بان يكون ذلك من النوع المفكر». لو

شيئاً مفكراً، بالتأكيد يكون للخالق مقدرة أكثر. «هناك يجب أن يكون على الأقل حقيقة في السبب كما في تأثيره،» أستمر دسكارت. الذي هومفكر حديث أكثر من دسكارت كتب أن ذكاء الإنسان وشخصيته «تكشف لنا عن ذكاء وشخصية» خالقه. ليس من المعقول أن نقول يمكن للإنسان أن يشعر بالله ولايمكن لله أن يشعر بالإنسان. مصدر الأحاسيس. لا يمكن أن يكون بلا إحساس. لذا أحاسيس الإنسان وشخصيته لا تشهد إلى ما هو أقل من شخصية الله.

الضمير

القمر المتحرك لا يبين أن الله حي. والشجرة أيضا لا تظهر شخصية الله، ولكن شخصية البشر تظهر ذلك. وبنفس الطريقة نجد ان ضمير الإنسان وحسه بالمسؤلية يبين أن الله كائن عظيم القيمة. لديه سمو القيم الأخلاقية ولا يمكن أن تكون أقل من أخلاق الإنسان الخلوق.

طبيعة الإنسان الأخلاقية لا نجدها في الحيوانات. البشر حذرين من المطالبة الشرعية بحياتهم، انه مطلب فائق وذو صلاحية ومطلق لو تمكن الشمبانزي من الكلام لقال: «أريد» ولكن الإنسان يقول: «يجب».

توماس. هكسلي وهو إنسان غير مؤمن عاش في الفترة (١٨٢٥-١٨٩٥) رفض ان يتقبل العزاء عند وفاة ولده، لأنه رفض أن «يواجه مع الحقيقة». على أي حال لم يكن هكسلي سوى من نسل بشر أصلهم من الفخار، وكما يعتقد، ماذا يكون تأثير الحقيقة؟ يبدو أن مناصرة هكسلي للحقيقة لم تخرج من جسده الفخاري. الصدق شيء غير معروف لكيس من الكيمياويات. ليس من المنطق أن نفرض أن الذي يضع أحاسيس أخلاقية في الناس هو نفسه غير خلوق.

أستطاع برناد رسل (١٨٧٢-١٩٧٠) أن يميز فطنة الإنسان الداخلية للصالح وللشرير، ولكنه أعتقد أن القدرة التي وضعت تلك الفطنة لم يكن لها المقدرة على التفكير.« للطبيعة غموض غريب، هي كلية المقدرة ولكنها عمياء... قد ولدت إلى العالم على الأقل طفلا،... له موهبة الرؤية، وله القدرة على معرفة الخير والشر وله القابلية على الحكم على جميع أعمال أمه (الطبيعة) التي لا يمكنها التفكير بالنسبة له، أم عمياء لا تفكر وليس لها أصل تنجب أبنا يرى ويفكر وخلوق.

اثر أيمانوئيل كانت على العديد من الناس عندما أطلق هتافه عن السموات وعن قانون الأخلاق. «يملأني شيئين بزيادة ثابتة بالأعجاب وتقوى كلما امعنت بهما أطول - السماء ذات النجوم في الخارج وقانون الأخلاق في الداخل». أعتبر كانت الأمر المطلق لكلمة «يجب» مهمة جدا بحيث جعل منها برهان على وجود الله. بالرغم من أنتقاده الشديد للحجج التقليدية لوجود الله، أعتبر أن أكمال أخلاق الإنسان وصلاحة وسعادته مطلوبة «لوجود مسبب قادر على تلك الأعمال» فائق الذكاء وسماوي.

يمكنه أن يرى بكل قوة وجود ذلك الكائن، وعمل الشيء نفسه الذي يتهم به أولئك الذين يستعملون الحجج السببية للعمل: النظر أبعد من العالم المحسوس لمفهوم عقلي مجرد. يبدو، أن أولئك الذين يستعملون الجدل السببي ينظرون إلى الخلف قبل العالم المحسوس إلى خالق العالم أنهم لا يرتكبون «فكرة خاطئة في علم الوجود» - وكذلك كانت لم يفعل ذلك عندما تطلع إلى الامام أبعد من العالم المحسوس إلى كائن ضروري لكي يعمل سعادة إنسان خلوق. مع ذلك الكائن كان (كانت) مبتهجا إلى أقصى حد وتكلم عنه «كمعطي للناموس» و «الحاكم العادل» «والحاكم الصالح».

كم هو الفرق في المواقف، وكم يشفق على أريك فرانك، الذي أعترف بأنه كان يملك «بعدا أخلاقيا داخليا» ولكنه كان يبقي نفسه في موضع «أقصى موضع دفاعي فوق الطبيعي» وأوضح، «يجب أن أعرض أقصى مقاومة لأقصى مبدأ ويجب أن أحتقره».

من المحتمل انه لم يكن مثل بقية المخلوقات تأثراً بعمق بقوة وقيمة النوايا

الحسنة بين الناس للأمر المطلق لمساعدة البشر. عمل واحد دائما على المبادئ التي يعتقد إنها يجب أن تكون كونية. كان عليه أن يكون واحدا من أحسن رجال العالم. على أي حال أحساسه العالي بالقيم وعدم الأنانية المطلقة ليس لها تفسير في «المادة الجيلاتينية الناعمة» أو «المواد المتفجرة» أو «المادة الطينية».

حتى لو أستطاعت المادة أن تخلق الصلاح والطيبة والحب، فهي ليس لها مكان في نظرية تطور العالم حيث البقاء للأقوى (القوي يأكل الضعيف)، البقاء الوحشي بالناب والمخلب. التفسير الوحيد المقبول منطقيا هو أن كائن ما له شعور بالقيمة وضع تلك الأفكار في عقل كنت. تبع ذلك، كما تبع النهارالليل، حيث أن خالق الكون هو أكثر من بناء: أنه حي وأنه ذكي وأنه صالح.

أي نوع من الإله هو؟

«أ إلى عمق الله تتصل أم إلى نهاية القدير تنتهي» (أيوب ١١: ٧). يكون جواب هذا السؤآل دائما وعلى الأطلاق لا، لأن الله «الفاعل عظائم لا تفحص وعجائب لا تعد» (أيوب ٥: ٩). نعم، عندما يسير شخصا ما في حديقة مزهرة، دون رؤيته الفلاح، أنه يعرف أشياء محددة عنه. بنفس الطريقة، أي إنسان عادي يتطلع إلى السماء سواء كان ذلك في الليل أم في النهار يجب أن يرى عمل يد االخالق والمصمم القدير (لاحظ مزمور ١٩: ١-٣).

عند خلق المادة غير الحية، يمكن للشخص أن يرى واحدا أو أكثر من خالق قدير. في الوحدة الظاهرة للقوانين برمتها التي توجه حركة الكواكب يمكن للشخص أن يستدل على وجود خالق واحد، ذلك العقل الواحد يوجه الجميع، بالرغم من كونه لدية عدد غير محدود من المساعدين. أكثر من ذلك أن الأستنتاج المنطقي يقود إلى أن خالق أي نوع من الحياة، يجب أن يكون هو نفسه حيا. لو أن الكائن الحي شخصا حساس ذاتيا لديه الحساسية الأخلاقية، ليس من المعقول أن يفكر أن خالقه هو أقل منه. وبطريقة الخطوة خطوة، ومن مستوى للحقيقة إلى آخر، يتعلم الشخص عن الخالق الذي لم يراه ابدا، تصبح لديه الرغب في أن يتعلم أكثر.

الذي يقول بكل بساطة أن الله محبة أو روح نقية – أو شيءمثالي غير ملموس (افلاطون). أو شيخ بلحية.أو خليقة الإنسان (خينوفانس). أو بإسقاط العقل البشري (لودفيك فيورباخ). أو غسيل الدماغ (سكموند فرويد). أو الميت (فردريك نيتشة). أو ببساطة أساس كينونتنا (بول تيليش). أو الذي لا يمكن لمسه بشعورنا العاجز – لا يعتبر الشواهد كلها. «الغارس الأذن ألا يسمع.الصانع العين ألا يبصر؟» (مزمور ٩٤: ٩). الذي وضع الشعور العميق في البشر إلا يحس؟

«القدوس»

يدعى الله قدوسا. جاءت كلمة قدوس من أصل كلمة تعني المنفصل، أو المبعتد، ولأنه قدوس، لا يمكنه الأرتباط مع الشرير. «لأنك أنت لست إلها يسربالشر لا يساكنك الشرير» (مزمور ٥: ٤). عيناك أطهر من أن تنظر الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور (حبقوق ١: ١٣). على العكس من ذلك الآلهة الوثنية تتعامل مع الشرير. الطهارة النبيلة لله متميزه بالله الحقيقي. هذه الميزة للرب مدحها الملاك سيرافيم بصورة متواصلة («قدوس قدوس قدوس رب الجنود»؛ إشعياء ٦: ٣) وبالمخلوقات الأربعة الحية «قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء...» (رؤيا ٤: ٨). طلب الله من الأسرائيليين (لاويين ١١: ٤٤ ، ٥٤) ومن المسيحيين (١ بطرس ١: ١٦) بان يكونوا مقدسين لأنه هو قدوس.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧